((وقفة مع قصة نبي الله لوط))

عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

الأولى

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله، أحمده سبحانه وهو المحمود وهو للحمد أهل، وأشكره وهو المشكور وهو للشكر أهل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

عباد الله... أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ آل عمران: ١٠٢

القصة أسلوب أخّاذ، وعبرة لأولي الألباب، وموعظة تنفذ إلى القلوب فتهزّها هزّا ﭽ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ هود: ١٢٠

وفي القرآن قصص عظيمة تخشع لها القلوب، وتدعن لها النفوس، ولا غرابة فهذا كلام الله ، ونحن اليوم مع قصّة قرآنيّة نزل بها الوحي من السماء، تكرّرت في سور متعدّدة من القرآن.

نقف اليوم مع قصة لنبي من أنبياء الله، قصة ذكرها الله عبرة لأولي الألباب ﭽ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱﯲ ﭼ يوسف: ١١١

فتعالوا معي نقف على عجالة مع نبي الله لوط .

لوط الذي قال الله فيه : ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ الأنعام: ٨٦

لوط الذي قال الله فيه : ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ الأنبياء: ٧٤ - ٧٥

فتعالوا إلى منطقة البحر الميّت، حيث نشأ لوط بين قوم كانوا يعملون الخبائث فلا يتعفّفون عن معصية، ولا يتناهون عن منكر فعلوه، بل كانوا من أفجر النّاس سلوكاً وأخبثهم سيرة وسريرة، ففعلوا منكراً لم يكن في أسلافهم، وابتدعوا فاحشةً ما سبقهم بها أحدٌ من العالمين، فبعث الله إليهم لوطاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وينهاهم عن إتيان المنكرات والفواحش الخبيثة، ولكنّ آذانهم عن الحقّ صمّت، وأعينهم عن النور عميت، وقلوبهم غلّفت فصطدمت دعوة نبي الله لوط بقلوب قاسية، وأهواء مريضة، وعتو ونفور.

واستمع إلى نبي الله لوط وهو يدعو قومه محذراً لهم من فاحشة خبيثة شنيعة

ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ الأعراف: ٨٠

ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﭼ النمل: ٥٥

ﭽ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ الشعراء: ١٦٥ – ١٦٦

فكان الجواب تهديداً ووعداً بالطرد والإبعاد ﭽ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ الشعراء: ١٦٧

بل استخفوا به وسخروا منه وتحدّوه وهو يعظهم قائلاً : ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ العنكبوت: ٢٩

عندها دعا لوط ربّه، وشكى ضعفه وفقره، ﭽ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﭼ العنكبوت: ٣٠

فرفعت شكوته، وأجيبت دعوته، وفتّحت لها أبواب السماء، وغار الله لغيرة نبي الله لوط ، وغضب لغضبته، وبعث ملائكته الكرام، فماذا حدث ؟

حدث موقفٌ عظيم تقشعرّ منه الأبدان، وتشيب من هوله الولدان.

حدث موقف عصيب قال الله تعالى ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ هود: ٧٧

ملائكة عظام، يتقدّمهم جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام، جاؤوا على صورة غلمان مردٍ حسان، فخاف لوط ، وضاق ذرعاً بضيافتهم، وخشي أن يعلم سفهاء قومه بضيوفه فيعتدون عليهم، فهو في بلدٍ قد استمرأ أهله الفاحشة، وأباحوا الشذوذ الجنسي، وفشا فيهم الفحش واللواط فقال: ﭽ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ هود: ٧٧

فمكرت زوجته الكافرة وخانته، وأخبرت قومها بغلمانٍ حسان، نزلوا ضيوفاً بلوطٍ فوقع ما خافه لوط على ضيوفه ﭽ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ هود: ٧٨

ﭽ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﭼ الحجر: ٦٧ – ٦٩

قال ابن سعدي في تفسيره : جاءوا يبشر بعضهم بعضا بأضياف لوط وصباحة وجوههم لقصدهم فعل الفاحشة فيهم فجعلوا يعالجون لوطا على أضيافه ولوط يستعيذ منهم ويقول :

ﭽ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﭼ الحجر: ٦٧ – ٦٩

ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ هود: ٧٨

فماذا كان الجواب ؟ كان الجواب دليلا على خبثهم وخبث ما جاؤوا إليه

ﭽ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﭼ هود: ٧٩

ما هذا الكفر والعناد ؟ ما هذا الإصرار على الإفساد والفساد ؟

نحن لا نعاشر النساء، بل نأتي الرجال دون النساء، هكذا قالوا وبئس ما قالوا، فماذا كان؟

دخلوا على نبي الله لوط في بيته، وتسلقوا جداره، واقتحموا داره ظلماً وعواناً، عندها أعلن لوط ضعفه وفقره وﭽ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﭼ هود: ٨٠

فلمّا عظم الكرب على لوط ونزل به الهمّ والغمّ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت عندها قال الله تعالى ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ القمر: ٣٧

وكشف جبريل عن حقيقة هؤلاء الضيوف، وأنّهم رسل الله، فقال: ﭽ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒﰓ ﰔ ﰕ ﰖﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﭼ ﭽ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﭼ هود: ٨١

فماذا حدث ؟

مرّت ساعات الليل، وجاء الموعد الشديد، واليوم العصيب، ودقّت قوارع الغضب الإلهي،

ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭼ هود: ٨٢ هكذا بضمير العظمة، لا إله إلّا الله، سبحان ذي البطش الشديد، سبحان المنتقم ممن عصاه بالعذاب والوعيد ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﭼ البروج: ١٢

ﭽ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ هود: ١٠٢

وجاء موعد الدمار والتدمير، وحلّ بقوم لوطٍ عذابٌ عظيم ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ هود: ٨٢ - ٨٣

قال ابن كثير -رحمه الله- : اقتلع الأمين جبريل القرية الخبيثة، بطرف جناحه ورفعها إلى عنان السماء حَتَّى سَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ أَصْوَاتَ دِيَكَتِهِمْ وَنُبَاحَ كِلَابِهِمْ، ثُمَّ قَلَبَهَا عَلَيْهِمْ، فَجَعَلَ عَالِيَهَا سَافِلَهَا. قصص الأنبياء لابن كثير ص 268 .

ﭽ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ هود: ٨٢

ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ الحجر: ٧٤

هل انتهى العذاب عند قوم لوط ؟

هل طويت صفحة عذاب الظالمين الذين يأتون الرجال من دون النساء بهلاك قوم لوط ؟

كلا ، قال الله ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ هود: ٨٣

قال ابن سعدي في تفسيره : فليحذر العباد، أن يفعلوا كفعلهم، لئلا يصيبهم ما أصابهم.

الثانية

لقد جمع الله على قوم لوط ألواناً من العقوبات أهلكهم، وطمس أعينهم وأبصارهم، وقلب ديارهم، وجعل عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود، وصبّحهم بعذاب مستقر؛ قال ابن جرير : استقرّ ذلك العذاب فيهم إلى يوم القيامة حتى يوافوا عذاب الله الأكبر في جهنم. تفسير الطبري (22/599) .

وما ذاك إلّا لعظيم ذنبهم وجرمهم، فقد اقترفوا ذنباً، تكاد السموات يتفطّرن منه، وتنشق الأرض، وتخرّ الجبال هدّا، فاللواط جريمة عظيمة ماضية باقية.

اللواط جريمة خبيثة، تموت بها الفّضيلة، وتحيا الرّذيلة، فاعلها ملعون على لسان رسول الله ، فعَن ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : «مَلْعُونٌ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ» قَالَهَا رَسُولُ اللَّهِ مِرَارًا ثَلاثًا فِي اللُّوطِيَّةِ. رواه أحمد رقم 2914 .

قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ: لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ قَوْمَ لُوطٍ في القرآن ما ظننت أن ذكراً يفعل هذا بذكر. البداية والنهاية (9/184) .

اللواط فاحشة خافها رسول الله على أمّته فقال : «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ». رواه الترمذي وحسنه الألباني من حديث جابر .

وقال : «مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ» رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

والله يا كرام ، إنّه ليضيق صدري، ولا ينطلق لساني، فقد طفح الكيل، وزاد الويل، وغشتنا فتنٌ، وفواحشٌ كقطع الليل المظلم، وأخشى والله وتالله إن رضينا بسخفنا، وركنّا إلى النعم، وانتهكت قدسية البيت والحرم، أن يقترب منّا وعد الله الشديد

ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﭼ الإسراء: ١٦

لقد قدّمت قدماً، وأخّرت أخرى، في الحديث عن هذه الفاحشة الخبيثة، وتسلّيت بأنّ الله قد ذكرها وحذّر منها في كتابه العظيم، ولنكن صرحاء، فقد كثر العشق، والفحش في كثير من الشبيبة والغلمان، فبالأمس نستنكر تبرّج النساء وسفورهن وتحذيرهن من ضياع الشرف والعرض، واليوم نحذّر الشباب من هذه الفاحشة الخبيثة بل نستنكر تشبّه الرجال بالنساء و نتألّم لعري الشباب، وميوعة كلامهم، ونعومة أجسامهم حتى أصبح بيننا جنسٌ ثالث، بل أقسم بالله قبل أن أرتقي هذا المنبر قرأت وسمعت من رجال الأمن ورجال الحسبة، ورجال هيئة التحقيق والإدعاء العام ما لا يصدّقه عقل، سامحوني لو قلت أنّ اللواط وأفعال قوم لوط فشت في كثير من الغلمان والشباب، وبزيارة لدار الملاحظة، والأحداث، والهيئات ينكشف الغطاء، وتظهر الحقيقة، فعند جهينة الخبر اليقين، ناهيكم عن أخبار المدارس، والتّجمّعات الشّبابيّة، ولقاءات الطّلّاب والغلمان في دورات المياه وأماكن البر والبحر، فتعلّق الذّكر بالذّكر، وعشق الغلام الغلام، والأنثى الأنثى، وإنا لله وإنّا إليه راجعون، فيا لضيعة الأخلاق وموت الضّمير وعلى الرجولة يبكى.

وَإِذا أُصـــيــبَ الـــقَــومُ فـــي أَخــلاقِــهِـم فَـــــأَقِـــم عَـــلَــيــهِــم مَــــأتَــمـــاً وَعَـــويــــلا

فكم هم الغلمان الذين فقدوا رجولتهم سيماهم في وجوههم، ولباسهم، وشعورهم من أثر الميوعة والتخنّث، فما بين رنّة نغم، ورقصة بدن، ولباسٍ ضيّق، وصوتٍ رخيم، وملبسٍ ناعم.

ناهيكم عن الصبغات والدهون، والعطور الجذابة، والألبسة الضيقة، بل وربّ الكعبة انكشفت العورات والسوءات، أمّا قصّات الشعر فحدّث ولا حرج أصبح الشاب والغلام يتفنّن في إطالة شعره، وتنعيم بشرته، وسلوا أصحاب صوالين الحلاقة عن فنون التنعم والتجمّل ، فحصل الخطف، والاختطاف والغصب، والاغتصاب، والتصوير، والابتزاز، والاعتداء، والتهديد.

وإنّي لأتساءل في غرابة !؟ أي رجل عنده شرف يرضى بمثل هذه الفاحشة الخبيثة ؟

إن المؤمن الغيّور، ليمسك بيد كبده المحترق، وقلبه المتقطّع، حسرة وأسفا، ويتساءل في دهشة ماذا دهى الغلمان والشباب ؟ كيف رضي الذكر أن يعلوه ذكر ؟

ماذا أصاب الآباء والأمهات ؟ ألهذا الحدّ غفلنا عن أبنائنا ؟

حتى غدو ألعوبة ومرتعاً للمجرمين والمفسدين.

يا أيها رجال .. يا أيها الأبناء .. يا أيها الشيب والشباب .. يا سكّان الحرم ..

عظّموا هذه البقعة، عظّموا البيت العتيق.

يا أيها الآباء ..

حافظوا على أولادكم من هذا الطوفان الخطير، ولا تدعوهم سلعة تباع تارةً وتبتزّ تارةً، فإن العالم يغلي بعالم الشهوة والجنس، والدنيا تعيش على حافّة بركان خطير، فصونوا أولادكم وأسركم، واللبيب من اتعظ بغيره، و ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ ق: ٣٧

ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ غافر: ٤٤